

الصراع الإلكتروني بين الطائرة والدفاع الأرضي في الشرق الأوسط

كمال السعدي

١ - خلفية الصراع

كثير استخدام عبارات « الحرب الإلكترونية » و « ميدان الحرب الإلكترونية » و « وسائل الحرب الإلكترونية » في الآونة الأخيرة . وهذه العبارات جميعا ، كما يجري استخدامها ، هي عبارة عن مترادفات تفيد معنى واحدا مفاده استخدام العلوم التطبيقية الحديثة ، خصوصا تلك التي تحققت في ميدان الإلكترونيات على الصعيد العسكري ، في خدمة التكتيكات العسكرية الهجومية والدفاعية . وهي تعني في الاصطلاح العسكري استخدام المعدات التالية : (١) معدات رصد Surveillance and detection equipment لتحديد أماكن وجود معدات العدو الحربية ، كالتائرات في الجو ، والرادارات على الأرض . وتستخدم هذه المعدات تقنية الرادار ، والبصريات ، والمغناطيسية ، والأشعة تحت الحمراء ، والليزر ، والأقمار الصناعية الاستطلاعية ، (٢) ومعدات للسيطرة والضببط Command and Control equipment تقوم بتقدير الخطر وتحليله ، كمعرفة عدد الطائرات في الجو ، وتحليل خط سيرها وسرعتها وارتفاعها ، وتحديد الأسلحة المناسبة لضرب منطقة الخطر ، كإطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، أو تحليل مسار القذيفة المضادة لشبكات الرادار الأرضية . وتستخدم هذه المعدات تقنية العقول الإلكترونية ، (٣) وأجهزة ملاحية Navigational equipment تضمن دقة توجيه الأسلحة إلى أهدافها . وتستخدم هذه الأجهزة تقنية الجيروسكوب أو بعبارة أخرى تقنية القصور الذاتي ، والرادار ، والأشعة تحت الحمراء ، والليزر ، والبصريات ، (٤) وأخيرا شبكة من الاتصالات الإلكترونية تربط بين جميع المعدات سابقة الذكر وبين الأسلحة التابعة لها وبين قيادة العمليات الحربية .

وليس استخدام الإلكترونيات على هذا النحو أمرا جديدا ، فلقد بدأ مع اختراع الرادار واستخدامه ، وصناعة العقول الإلكترونية ، وتطور علوم الفضاء وارتداد الكواكب ، وصناعة الصواريخ العابرة للقارات ، وبناء الغواصات النووية الحديثة . ولكن يمكن القول أن مثل هذه المعدات حديثة نسبيا على الترسانة العسكرية ، ولقد طورت خصيصا لتلائم متطلبات الحرب الآلية الحديثة المعقدة . كما أن تطبيق مبدأ نيكسون القاضي بكنة الحرب في فيتنام جعلها تتبوأ مكانا بارزا في ترسانة السلاح الأمريكية ، وكان دافع نيكسون لاتخاذ قراره هو التغلب على المشكلة الدائمة التي عانتها القوات الأمريكية ، الجوية بشكل خاص ، في اكتشاف أماكن وجود الثوار وتصفيتهم ، وبالتالي فقد زودت الولايات المتحدة طائراتها العاملة في فيتنام بمختلف الأجهزة سابقة الذكر . واستطاعت الطائرات المزودة بالأجهزة الإلكترونية الجديدة أن تحقق نجاحا في أداء مهامها في بادئ الأمر ، وكان هذا فاتحة عهد جديد لبدء صراع